

تصطدم بصخرة القصر الهائلة
وتنحسر عنها فيسمع لها زئير
كزئير الأسد وهزيم كهزيم
الرعد

في تلك الأثناء كان الأميرال
الركيز « دى بك هيلون »
جالساً إلى نضد صغير وضع عليه
بضع رسائل عفي على لونها الزمن

فاسفر وحال ، وبضع زهور زاوية ونوط قلادة
وشريط من الحرير الأزرق ، وبجوار هذه الأشياء
صندوق صغير مفتوح من خشب الأبنوس العظيم
بالعاج ، كان ولارب يضم تلك الآثار الغرامية المتناثرة
على النضد . ونجحت أمارات الحزن العميق على وجه
الأميرال بينما لمت عيناه فجأة ببريق للغضب المسجور
وكان الأميرال رجلاً رقيق السن واهن العظم
له وجه منضن بارز المظام ، وعينان غائرتان قد
قد انطفاً فيهما التآلق والبريق ، وبدان معروقتان
عاريتا الأشاجع . وعلى الجملة كان بدنه النهوك قد
ذبل بفعل المرض الذي يفنك به فتكا ذريعاً
ولقد فقد أميرال للبحر للمظيم قوة العزم التي
كانت تسبح نائرة في دمه وتشع من عينيه .
وخفت فيه ذلك للصوت الجمهوري المليء الذي
كان يمزق المواسف ويعطى عليها . ولم تبق
فيه ذرة من القوة التي طالما أعجب بها رجال أسطوله
وبهارته من قبل . وأبت الجرأة والبسالة أن تسكنا
ذلك الجسم المهدم الغاني ففارقته بعد إذ كانتا تفوران
فيه فوراناً حينما كان يزخر بقوة الشباب ويموج
بقوة الرجولة . واشتد به السقام حتى صيره هزيباً
ناحلاً . ولم يبق عليه المرض الجاثم فوق صدره إلا
ليعالج هذه الجريمة النكراء التي اكتشف الآن فقط

انقضاء الأميرال

لِلْقَصَصِي الْفَرَنْسِي أَرْنِسْتُ دُودِيَه
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ مُحَمَّدِ عَبْدِ الْفَتَّاحِ مُحَمَّدٍ

كان القصر المتيق يجثم كالحصن الجبار فوق
صخرة عظيمة هائلة على سيف البحر . وكانت الشمس
حينذاك تضيق للغروب وتنحدر رويداً من شارف
السماء ، إلى ما بين الأفق والماء . وقد سالت حولها
أباطح الدم ، وارتسم على جبينها الكلال والأثين .
ويشرف القصر أيضاً على الطريق الممتد إلى « برست »
وعلى قاعة هذا الطريق تقع الميناء وقد أطلت من
ورائها سوارى السفن ومدانها مصبوغة بألوان
الشفق الزاهي الجميل ... ومن نوافذ القصر الضيقة
بان البحر كأنه بساط من سندس واستبرق تجرى
عليه للسفن بقلاعهما التي يهددها نسيم الأسيل
فتتموج ، وتداعبها الرياح الخفيفة فتترجرج ...
وتملو من القصر النيف قباب وأبراج شاذجة في
الفضاء تتحدى الزوابع الماتية والمواسف الموجهاء ..
وتحف أغصان الأشجار اللغاء الوارفة بمجسدران
تحرکها الرياح العواتي فتبدو كضفائر جافة خشنة
لطيف امرأة تضرب فزعاً في الليل المدلم ...
وعند ما غسق الليل وأجن الكون في مسوحيه
الطاخي الأسحم ، أترعت السماء سحاب ثقال منشئات
تحرکها المواسف الموجه في شدة وعنف . وعب
عباب الرياح فهاجت الأمواج الصاخبة المزبدة فراحت

دليلها الحاسم ، وليرى مدى قدرته على الثأر وهو من الموت قاب قوسين أو أدنى

لقد تسلم صباح اليوم رسالة من (نيس) حيث اعتاد أن يقضى فصل الشتاء من كل سنة ، يقول فيها كاتبها : « لقد خلت أربع عشرة سنة وزوجك ممعنة في خيانتك ، دائبة على العبث بشرفك ؛ ولعلك وحدك الشخص الذى لا يمل شينكا عن علاقتها الآثمة بمساعدك السابق الكاتبين « فوشيون » . وإذا أردت على ما أقول شاهداً ودليلاً فاذهب إلى مخدع المركبة ، فهناك من ناحية رأس السرير ترى تحت إحدى الصور المعلقة خزانة فى الحائط ، بها صندوق صغير . افتح هذا الصندوق واقرا ما فيه ، فستنقش المشاوة عن عينيك ، وتبين بوضوح ما غاب عن بصيرتك كل تلك السنين الماضى »

وعزا المركبة هذه السماية إلى خادم مطرود . لذلك قضى سريماً على ما أثاره الخطاب فى نفسه من شكوك وأوهام ، وفرك الرسالة فى يمينه وهم يمزقها لولا أن حاك الشك فى صدره فأرجع الكتاب بتلوه مرة أخرى ... وللمرة الأولى فى كل حياته مع زوجته تساوره الظنون والريب . وتحامل على نفسه وغادر مضجعه ، ثم راح يحرق نفسه جراً ، وفى الحرز المدين فى الكتاب أنى أدلة الاتهام السود

وراح يتمثل ويمجب كيف صرت عليه هذه السنون الطوال وهو غارق فى لجج هذا الوحل دون أن يدري ... ها هو ذا يعضى إلى مشواه الأخير تكتنفه قرائن الجريمة الدنسة التى اكتشفها اليوم فقط هازئة ساخرة ... فكيف إذن يتسنى له الثأر لنفسه من هذين المجرمين قبل أن ينطفى سراج حياته الخافت الضئيل يا للخيانة يا للثأر ! أزوجه التى شملها بحبه ووهب لها كل قلبه ؟ ! ومرؤوسه الذى أمطره بوابل

من عنابته ، وغمره بفيض من صداقته ... يا للمار وبالدردن ! أنسى هذا السافل الخثون ، هذا الجاحد الكتود ... أنسى كيف كان يعاه كاتبه وزيادة ؟ وهذه الشقية زوجه ؟ لا نكران أنه اقترن بها والفرق بين عمريهما جد كبير . إذ كانت فى المشرين وهو فى الخمسين ... بيد أنه ليس ثمة من ينكر أيضاً أنه انتشلها من وهدة اليتيم والمسغبة ، وأضفى عليها لقبه المجيد الثالث وقلها فى ثرائه الواسع ، وضمن لها الحماية والرعاية فى حياته ، وسينخلع عليها من ثرائه درعاً يقيها من بemde عدوان الناس وغدرات الزمن . أبداً ما أرغمها امرؤ على الزواج منه ، بل كان هذا عن اختيار منها ورغبة ... ولم يكن يوماً ابني عن نلبية رغبة لها مهما صعبت وشقت . فالصيف فى الربف الجليل الساحر ، والشتاء فى أرفع فنادق باريس للفواخر . أو إذا شامت فى قصره العظيم فى « نيس » . فى كل حفل كانت تبدو زينة الأتراب والصواحب . فى كل جمع كان يملو بها اسم زوجها إلى أرفع مكان وأسمى منزلة بين سائر القتيات والمقاتل . وبينما كان يثق فى وفائها وإخلاصها ويمجب بجمالها وفننتها وبنية لسحرها وأنوثتها ، إذا هى تخونه وهو لا يدري

لقد خدم بلاده أربعين سنة سويكاً . حارب فى أفريقيا وفى المكسيك ، وحاز أرفع اللقائد والأوسمة وجلب المجد والفخار لابنه ... ثم ماذا بعد كل تلك الحياة الحافلة بمجلائل الأعمال وطيب السائر ؟ حار تجلبه عليه هذه المخلوقة الشقية وهو من الموت على شفا جرف هار

وليت الأمر قاصر على هذا الخسب ، بل جرت به إلى شك مظلم يتخبط فيه حتى ليكاد يذهب عقله فيمضى إلى رمسه مخبولاً . ابنه « باتريك » زهرة

— قل إنى انتهيت يا دكتور
 — لم يضع الأمل بمدى سيدي ... إنك فى
 حال سيئة ولكن ...
 — لا تراوغنى . لقد سمعت للموت مراراً ،
 ولا أود أن بأخذنى هذه المرة على حين غرة . قل الحق
 إنى أسرك ...
 فظل الطبيب صامتاً لا ينبس دقيقتين قال بعدها:
 — سيختارك الله هذا المساء على الأكثر
 يا سيدي إن لم تحدث معجزة
 وتلقى الأميرال الصدمة بكل ثبات ... قال
 — حسن ... وستموتون طبعاً مرة أخرى ...
 أليس كذلك ؟
 — بالتأكيد يا سيدي الأميرال . ألا تحب أن
 نخطر سيدتى الركيزة
 — وأى جدوى فى ذلك وهي فى نيس . ثم
 إنى لا أود أن أحملها الحزن فجأة . إنها تعلم أن
 مريض . وستعرف على كل حال أنها ترملت . ولكن
 يجب أن يكون هذا بعد أن أموت
 فانسحب للطبيب
 وقابله بارتريك لدى الباب فقال له :
 كيف أبى ؟
 فلم ينبس الطبيب بل أجابت عنه عيناه . فأمرع
 للصبي نحو أبيه بقلب جزوع . فنهض الأميرال
 بجهد جهيد على صرافقه وقال :
 — ادن منى يا بنى . إن لى حديثاً معك ...
 إنك فى الثانية عشرة من عمرك يا بارتريك . ولكنى
 مضطر أن أحدثك كما أحدث رجلاً
 ولم يأخذ منهما الحديث طويلاً . ولكن حينما
 انتهى ومضت عينا الصبي يبريق من نار ، وتلج بدنه
 حتى كأنما انتقلت برودة الاحتضار من بدن أبيه

آله و عمره الثانى ... آبنه هو ، أم ابن غريمه
 فوشيرون ؟ بارتريك . لقد شب ونما فى قصره المتيد
 حيث تقضى أمه كل شتاء وحيث كان يذهب هو
 ليمانه ويتحلى من رؤيته . إنه يبدو قوياً كفنسن
 شامخ فتى ، ويتملى الزهو والكبرياء فى نظراته ،
 ويبدو للصلف والخيلاء فى لفتاته ، وتنطق ملامح
 وجهه بقوة العزم وشدة الراس . ياله من إله صغير
 من آلهة القوة والجمال ! خير خلف لأشرف سلف .
 ومما زاد الرجل تملقاً بابنه وحباً له أنه ورث عنه
 قوة العزم وصلابة الرأى وثبات الجنان
 والآن تقضى هذه الجريمة التى اقترفتها زوجته
 على كل تلك الذكريات السامية حول ابته وذلك
 الانجاب الذى يحبه الرجل لوحده
 وأمسك الرجل للتمس رأسه اللثائر بين كفيه
 كأنه يمنعه من الانفجار ، وسرت حى للغضب فى دمه
 فغمغم وهو فى تلك الحال من اليأس والاضغاض والمرض
 — سأنتقم لنفسى ... سوف أثار لشرقى ...
 ولكن كيف ؟ أبقتل ذينك اللذين لو نأ اسمه
 ولطخا شرفه ، وكيف السبيل إليهما وهذه الفراسخ
 المديدة تفصلهما عنه . فلا هو بمستطيع أن يلفهما .
 ولا هما يبالينيه قبل أن يموت ... وأوغل فى سبل
 الانتقام الكثيرة المشعبة ... وأعطش الليل ولما يهتد
 فكره إلى سبيل يبلغه طيبته فيشقى غليله ... واستأنق
 على الفراش بقلب ممزق وأضلع تكتنز ناراً تكاد تأتى
 على بقايا جسمه المحطم
 وعند ما انصدع عامود الفجر أقبل طبيب
 الطوافة « المنيد » التى اعتلاها علم الأميرال طويلاً ،
 ليمود رئيسه الليل وذعر لدى رؤيته وجه رئيسه
 الشاحب المتقع ودهش لتقدم المرض السريع فى
 يوم وليلة ... ونم وجهه عن ذعره ودهشته فقال
 الأميرال :

إلى بدنه . وفي أثناء هذا الوقت للقصير انتقل فجأة من طور للطفولة إلى طور الرجولة وما تحمل من متاعب وأعباء

وفي السنة التي تلت ذلك . أي بعد موت الأميرال بمشرة أشهر أو تقل راح الناس يلغطون بقرب زواج أرملة من الشاب الوسيم القسيم فوشيون . تناقلوا ذلك فيما بينهم في غمز ولز كأنما كان ذلك عين ما يتوقعون . ويبدو أن العاشقين قد آثرا بعد علاقتهما الدنسة الآتمة أن يرتبطا بعلاقة يقرها للمرف والدين

ووصل الكابتن فوشيون ذات صباح إلى القصر العتيق حيث تنتظره المركيزة مع ابنها بعد إذ قضى زوجها بحبه

وعند ما متع النهار وارتفعت الشمس دخل باريك على أمه يحمل من الأعباء ما ينوء به عمره للقصير . قال لها :

— أحمأ أنك تعدين المدة للزواج من الكابتن فوشيون يا أماء ؟

فأجابته بصوت مضطرب :

— من أبلغك هذا ؟

لم ينبس للفلام . فاستطردت المرأة

— على كل يجب ألا يستجوب الفلام أمه

— إني لا أقبل مهما يكن الأمر أن يشغل

الكابتن فوشيون مكان أبي

— لا تقبل ، ماذا تقصد بهذا الهراء ؟

ثم أشارت إلى الباب غاضبة واستأنفت

— أخرج من هنا حالا يا سيدي

فانصرف من لديها إلى غرفته ، ثم غادرها بعد بضع دقائق إلى غرفة فوشيون واقتحمها دون استئذان واضمأ إحدى يديه في جيب بنطلونه وكان فوشيون يحلق لحيته أمام مرآة ،

فاستدار نحو باريك وقال :

— إن اللياقة تقضى بدق الباب قبل الدخول

— إنه بيتي ياسيدي . ومن حق أن أدخل

أية غرفة فيه بدون دق ولا استئذان . ثم إن لي حديثاً معك

— لك حديث مي ... تكلم

— إني أعلم سبب وجودك هنا . وإن ما تبغيه

لا يمكن أن يتم . ويجب أن ترحل الليلة على ألا تعود

أبدأ . إني أمنعك من الزواج بأبي

— إنك مجنون ولا ريب أيها الطفل

— من الخير لك أن تطيمني

فشحب وجه فوشيون من شدة الغضب .

وومضت عيناه من فرط الغيظ . قال :

— أخرج أيها اللغزير وإلا عركت أذنيك

وأبجه نحو باريك رافعا يده . فتراجع الفلام

عنه ثم وأخرج من جيبه شيئا كان يخفيه ، مسدساً

ورفع به يده . ضغط الزناد ، فانطلق

فانشق صدر فوشيون عن صرخة هائلة دوت

في سكون القصر العميق . وترمح ثم سقط جثة

هامدة وقد اخترقت الرصاصة جبينه ...

وأقبلت المركيزة على عجل ورأت كل شيء ...

ثم صرخت تقول بعد أن ألقت بنفسها على ابنها

وجردته من سلاحه .

— ماذا فعلت أيها الشقي ؟

وتركها باريك تأخذ منه السلاح ثم قال : وقد

رأها ترتجي على الجثة تبكيها وتندبها :

— لقد أنبأني أبي قبيل وفاته أن هذا الرجل

عدولي وعدو لك ، وأوصاني بحمايتك من شره وغدره

حتى ولو أدت الحال إلى قتله . ولقد نفذت وصية أبي .

ثم أشيع بين الناس أن الكابتن فوشيون

مات منتحرا محمد عبد الفتاح محمد